

نبوة وعظة للقديس أنبا صموئيل

إن آبا هور تلميذ أنبا صموئيل (المعترف) سطر هذه الموعدة لمنفعة من يقرأها ويحفظها وفيها نبوة عما سيكون. قال:.. إن المسيحيين يميلون كثيرًا في ذلك الزمان ويكونون في كسل عن عبادة الله..، ويكونون في ذلك الوقت محبين للأكل والشرب والشهوات أكثر من ملازمة بيعة الله، ويلتزمون مواضع الموالد حيث الأكل والشرب أكثر من ملازمة حب الله. تراهم جوسًا في شوارع الأسواق في اهتمام بأمور العالم، ولا يهتمون البتة بأمور الكنيسة، فلا ترسخ بقلوبهم الفصول التي تقرأ مع ما فيها من تقويم ومنفعة لنفوسهم وحتى الإنجيل لا يسمعون كما ينبغي وإنما يحضرون إلى الكنيسة عند فراغ القداس، والبعض يعملون أعمالًا لا ينبغي عملها. يحضرون إلى الكنيسة ويأخذون الإنجيل ويسألون عن الفصل الذي قرئ، فيقفون في زوايا الكنيسة وحدهم ويقرأون ويصنعون لهم ناموسًا وحدهم.

الويل يا أولادي الأعباء للكسالى. ماذا أقول عن تلك الأزمنة وعظم الكسل الذي يلحق بالنصارى، في ذلك الزمان يميلون كثيرًا عن الاستقامة ويتركون تسمية أولادهم بأسماء الملائكة والأنبياء والرسل وأسماء الشهداء والقديسين..

وماذا أقول بشأن الإنحلال الذي يصير في النصارى.. ينسون خوف الهيكل ويكون الهيكل عندهم كلاً شيء وتبقى أبواب الهيكل مفتوحة ليس عليها حارس ولا شماس، وتجد الناس في ذلك الزمان يطلبون رتب الكهنوت وهم لا يستحقون أن يقرأوا على الشعب، وتبطل كتب كثيرة من الكنيسة لأنه لن يكون فيهم من يهتم بها.. وكذلك القراء لا يفهمون ما يقولون.. وفي ذلك الزمان يعمل الناس خطايا كثيرة وليس لهم من يؤدبهم أو يعلمهم، لأنهم كلهم يخطئون كبيرهم ومعلمهم - يعلم الأب باثم ابنه ولا يؤدبه، وكذلك الأم لا تؤدب ابنها.. ولا يكون لهم من يبيكتهم. كل يعمل حسب هواه.. القس لا يبيكت، الكبير لا يعلم، الصغير لا يطيع الكبير.

إنهم يتركون قوانين آباءنا القديسين، حتى أنهم يحلون الأصوام المعروفة المفروضة، والذين يصومون لا يكملون أصوامهم كما يجب لأجل شهوة البطن.. لأن كل واحد يقيم لنفسه ناموسًا كما يشتهي.

ومنهم من يقوم في الكنيسة بانحلال وكسل يتحدثون بعضهم مع الآخر في الأعمال الرديئة الباطلة التي للعالم.

ولا يقفون البتة ولا يلتفتون إلى جسد المسيح في الصينية ودمه في الكأس على المذبح.

وإذا تكلم أحد بغيره مقدسة على القوانين الكنسية كان كأنه عدو يفتحون أفواههم عليه مثل الأسد.

والنساء في البيعة أيضًا يكثرن الكلام في إنحلال وليس من يؤدبهن.

حتى الكهنة أيضًا يتصرفون بانحلال ولا يخضعون للتعليم الصحيح، وإن طلب إليهم أحد الكلام والتعليم فإنهم يتحدثون إلى الشعب بملل وبغير معرفة، ولهذا يغضب الرب عليهم لأنهم خرجوا عن قوانين البيعة والتعليم الذي لآبائنا القديسين.

وتشتد الكبرياء في تلك الأيام فيتكبرون بعضهم على بعض ويتذمرون بعضهم على بعض ويهزأون بكلام الكتب المقدسة، حتى الكهنة والرهبان والقسوس خدام المذبح المقدس يتورطون أيضًا في هذه الأعمال، وينسون إن الكبرياء مرذولة أمام الله.

لكن نسألك يا الله ألا تتخلى عن شعبك إلى المنتهى بل ترد غضبك إلى رضى وتحنن، ورجزك إلى سلامة وتنظر إلى شعبك في ذلك الزمان وتذكر عروسك الكنيسة وترسل إليها معونتك السمائية.

والآن أوصيكم يا أولادي الأحياء وأطلب إليكم طلبًا بتضرع أن توصوا من يأتي بعدكم، فيوصوا من يأتي بعدهم إلى كمال الأجيال أن يتحفظوا غاية التحفظ ويسيروا باستقامة أمام الله..

وبعد ان شرح القديس أنبا صموئيل هذه الأقوال التفت إلى أنبا أبلو وجميع الأخوة وقال لهم:

لقد سمعتم بأذانكم اليسير من التعب الذي سيحل بالأجيال الآتية، الذين يتجراؤون أن يغيروا القوانين المقدسة والتعاليم الطاهرة التي لأبائنا واعرثوا عظم الشدة التي ينالونها، فأنتم أيضًا يا أولادي الأحياء تحفظوا وتيقظوا فإن الطوبى والبركات للذي يتحفظ ويستيقظ.

* * *

يا أولادي الأحياء إحترسوا من الغفلة فإن الغفلة أم كل الأوجاع وهي تربي الزوان.

تحفظوا يا أولادي الأحياء من الشهوة فإنها تجعل العقل مظلمًا ولا تدع الإنسان يفهم وصايا الله، انها تجعله غريبًا من الروح القدس إذ لا تدع الإنسان يستيقظ لمعرفة الله تعالى.

تحفظوا يا أولادي من النظر الشرير فإنها تجعل الإنسان غريبًا من خيرات نعيم الفردوس. إن النجاسة تغضب الله وملائكته.

تحفظوا من الكبرياء فإنها رأس كل الشرور وهي تبعد الإنسان عن الله.

تحفظوا من المجد الباطل وحب الرئاسة فإن هذه تفسد كل تعب الإنسان.

تحفظوا من الحقد ولا تكونوا خبثاء، فإن الخبيث ضعيف القلب.

ولا تتكاسلوا عند الصلاة فإن الشيطان يكثر الخطية في القلب ويملاه من كل حيلة ومن كل عجلة باطلة، فإذا تكاسلتم وصنعتم كل الإثم واتبعتم ضيق القلب الذي يولد الكسل، وأهملتم قوانينكم فإنكم تصيرون غرباء عن ناموس الله.

إطرحوا كل فكر شرير واهربوا من كل راحة جسدية فإن راحة الجسد تربي الزوان.

إحترسوا من الزنى فإنه ينزل إلى الجحيم..

إهربوا من كل فعل رديء واعملوا الأعمال الصالحة المؤدية إلى ملكون الله وهي الطهارة والصوم والصلاة والتواضع والنسك والصبر على الأتعاب وطول الروح والمحبة والصلح والسلام ومحبة الغرباء..

كونوا جياعًا عطاشًا للبر.. مبتعدين عن الخمر وعن الشهوة..

* * *

سيأتي زمان يكون فيه رهبان كثيرون يمزحون ويلعبون فيجذف على الرهينة بسببهم إذ يطرحون عنهم القوانين والتعاليم التي وضعها الآباء العظام، المصاييح المضيئة لأرض مصر - انطونيوس، ومكاروريوس، وباخوميوس، وشنودة، هؤلاء الذين وضعوا لنا القوانين وأجوبوها على الرهينة..

فأنتم يا أولادي الأحباء احفظوا كل ما قلته لكم اليوم وكل ما هو لبنيان الرهينة مما وضعه أبائنا القديسون وأوصوا من يأتي بعدكم من الأجيال أن يحفظوا كل ما قلته لكم اليوم.

إحفظوا ما أوصيتكم به فإن والدته الإله تسأل ابنها الحبيب فيكم لأنكم مقيمون في ديارها كما عاينت أنا مرارًا كثيرة وأبصرتها بعيني في هذه البيعة المقدسة وسمعتها تقول هذا هو مسكني أنا أحل فيه لأنني أحببته..

فالواجب عليكم يا أولادي الأحباء أن تكملوا كل الوصايا وتتمسكوا بقوانين الرهينة..

طوباكم يا أولادي الأحباء لأنكم استحققتم أن تسكنوا في ديار السيدة الطاهرة.. رتلوا وسبحوا الله في هذه الكنيسة التي اختارتها والدته الإله مسكنًا..

إحترسوا من أن تتحدثوا وقت القداس لأن هذا إثم عظيم في البيعة، أيضًا حيث يكون الترتيل أو القراءة والوعظ لريح النفوس، وليعلم كل من يتحدث في الكنيسة انه يكون مردولا وغريبًا عن الله..

.. فلما قال أنبا صموئيل هذه الأقوال للحاضرين بكى الأنبا اغريغوريوس (أسقف القيس، المنيا) بكاء مرًا حتى بل ثيابه بدموعه من أجل ما سيكون، فقال له الأنبا صموئيل يا أبي إن هذا تأديب يسير يؤدي به الله هذا الجيل عندما يخالف. فإن أنتهم النقمة من أجل خطاياهم التي يعملونها فمن يستطيع الوقوف كما هو مكتوب "إن كنت للآثام راصدًا يا رب يا رب من يثبت".

أما من يقبل تأديب الله بشكر، ومن يقر بخطاياها ولا يعود اليها دفعة أخرى فإنه يخلص، كما قال الإنجيل المقدس الذي يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص، وأما الذي يضجر ويشك فالويل له إلى الأبد.

أن مسيحيين كثيرين في ذلك الزمان سيمجدون المسيح من أجل الأتعاب التي تلحق بهم..

ثم ان القديس أنبا اغريغوريوس قال له يا أبي أتري الأمر بيطي؟ وحتى متى تدوم هذه الصعوبة - قال له القديس أنبا صموئيل ليس أحد يعرف تدبير الأزمنة وتقلبها سوى الله الخالق وحده لكن إذا تاب النصراني ورجعوا عن أعمالهم الرديئة وأقاموا الصلاة وسلكوا فيها بحرص وحفظوا الإستقامة نقيه أمام الله فهو يرفع عنهم هذه الأتعاب..

هذه سمعتها أنا أبللوا من فم الأب صموئيل معلمي وقد أخبرتكم يا إخوتي الأحباء بما قد سمعته منه، وأما الذي تحدث به سرًا وكان بيني وبينه وبين الأسقف أنبا اغريغوريوس فلم أكتبه لأن أبانا

أنبا صموئيل أوصاني ألا أكتبه في هذه العظة.. وما كتب فقد كتبتة للأجيال الآتية كما أوصاني
القديس أنبا صموئيل.

فمن يسمع ويعمل يخلص والذي يخالف ينال ما يستحقه. والآن يا إخوتي الأحباء فلنصنع أثمارًا
تليق بالتوبة لكي نجد رحمة امام الله تعالى له المجد إلى الأبد آمين

(نقلت مختصرة عن نسخة بدير البرموس تاريخها ٢٩٩ ش.)

عن كتاب القديس أنبا صموئيل المعترف و أديرة الفيوم - يوسف حبيب